رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

٥- كِتَابَةُ الْقُرْآنِ وَجَمْعُهُ

لكتابة القرآن وجمعه ثلاثُ مراحل:

المرحلة الأولى: في عهد النبي ﷺ، وكان الاعتماد في هذه المرحلة على الحفظ أكثر من الاعتماد على الكتابة، لقوة الذاكرة، وسرعة الحفظ، وقلة الكاتبين ووسائل الكتابة، ولذلك لم يجمع في مصحف، بل كان مَنْ سَمِع آيةً حفظها، أو كتبها فيما تيسر له من عُسُبِ النخل، ورقاع الجلود، ولخاف الحجارة، وكِسر الأكتاف، وكان القراء عددًا كبيرًا.

ففي (صحيح البخاري)[1] عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ بعث سبعين رجلًا يقال لهم: القرّاء، فعرض لهم حيَّانِ من بني سليم -رعل وذكوان- عند بئر معونة فقتلوهم، وفي الصحابة غيرُهم كثير كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبيِّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء -رضي الله عنهم-».

الشرح

وهذه هي المرحلة الأولى في كتابة القرآن، وهذه الكتابة في هذه المرحلة تعتمد على الحفظ أكثر من الكتابة؛ للأسباب التي ذُكرت في هذا البحث.

أولًا: قوة الذاكرة، فإن الذاكرةَ في الصحابة قويَّةٌ جدًّا، لا يكاد الواحد منهم ينسى ما حفظه، وكان الشاعر منهم يأتي إلى المجلس وينشد القصيدة

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد، باب العون بالمدد، رقم (٣٠٦٤).

التي تبلغ خمسين بيتًا أو مئة بيت مرة واحدة، ثم يحفظونها ويتناقلونها.

ثانيًا: سرعة الحفظ؛ فإن حفظهم سريعٌ، وبينهما فرق، فقوة الذاكرة أنه إذا أراد الشيء استحضره بسرعة، وسرعة الحفظ يعني: يحفظ سريعًا.

والناس في هذا أربعة أقسام: سريع الحفظ والنسيان، بطيء الحفظ والنسيان، بطيء الحفظ سريع النسيان، سريع الحفظ بطيء النسيان، وأحسنهم سريع الحفظ بطيء النسيان.

ولهذا تجد الواحدَ منهم يروي الحديثَ عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يبلغ الصفحة أو الصفحتين، مع أنه لم يسمعه إلا مرةً واحدةً.

ومنها أيضًا: قلة الكتبة في عهد الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؛ لأن العرب أمة أمية، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وقال النبي ﷺ: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ**»[1]، لكنْ بعد أن جاء الإسلام صاروا علماء بل علماء العالم كله.

ومنها: أن وسائل الكتابة كانت قليلة؛ فكان لا يوجد ورق ولا حبر ولا أقلام؛ فلذلك صاروا يعتمدون على الحفظ، وكما قيل: (الحاجة أُمُّ الاختراع)، فإذا احتاج الناسُ إلى الحفظ صارت حافظتُهم قويةً، يعني: معتمِدين عليها، ولهذا كانوا يعتمدون في كتاباتهم على ما تيسَّر لهم من عُسُب النخل، وعسبُ النخل (جريد النخل، إذا نُحي عنه خوصه)، فالعسيب

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «لا نكتب»، رقم (١٩١٣)، ومسلم: كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم (١٠٨٠).

الذي هو منبت الأوراق ويكتب فيه، كذلك أيضًا رقاع الجلود: وهي عبارة عن رقعة الجلد، يأخذها مدبوغةً فيكتب فيها، وأيضا لخاف الحجارة: وهي حجارة ملساء تشبه العظمَ يكتبون فيها، وكذلك كِسَر الأكتاف: وهي أكتاف الحيوان كالبعير، والشاة، والبقر يكتبون عليها، فلما قَلَّت الوسائل في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- وسائل الكتابة، احتاج الناس إلى الحفظ فحفظوا، ولهذا تجدون الآن الذين يعتمدون في الحساب على الآلة الحاسبة يقل تصورهم بالأشياء ومعرفتُهم بها، ولما ظهر الحاسب الآليُّ في الفرائض أشرنا على الذين أخرجوه بألا يُخرجوه على وجه عامٍّ شاملٍ؛ لأن هذا يُمِيت أذهانَ الطلبة.

فإن قال قائل: بعضُ أهل العلم يقول: إنَّ بعض القرآن أتى آحادًا، ويستدل بحديثِ: «ما جَمَع في عهدِ النبيِّ ﷺ القرآنَ إلا أربعةٌ، ذكر منهم ابن مسعود وأُبي»[1]، يقول: إن بعض الصحابة كانوا يكتبون القرآنَ، وأن أوله آحاد؟

الجواب: يرد على قولهم هذا بأنه أولًا: قبول خبر الآحاد في الآيات؛ لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرآنَ غضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**»[2]، وهذا خبر واحد، أمرنا الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن نعتمده.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن ثابت، رقم (٣٨١٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بن كعب وجماعة من الأنصار، رقم (٢٤٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٥)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٧١، رقم ٨٥٢٧).

ثانيًا: أن الإجماع حصل بعد ذلك من الصحابة، فهذا القرآنُ الذي بين أيدينا أجمعَ الصحابةُ عليه، وعلى صحَّتِه وقَبُولِه.

ثالثًا: أن القرآنَ خبرٌ دينيٌّ، والأخبارُ الدينيَّةُ جاءت السُّنَّةُ مُطَّرِدَةً بأنها تُقبل من الواحد، كما في رؤية هلال رمضان[1]، وما أشبه ذلك.

***

المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- في السنة الثانية عشرة من الهجرة. وسببه أنه قُتل في وقعة اليمامة عددٌ كبيرٌ من القُّراء منهم، سالم مولى أبي حذيفة، أحدُ مَنْ أَمر النبيُّ ﷺ بأخذ القرآن منهم.

فأمر أبو بكر -رضي الله عنه- بجمعه لئلا يضيع، ففي صحيح البخاري[2] أن عمرَ بن الخطاب أشار على أبي بكر -رضي الله عنهما- بجمع القرآن بعد وقعة اليمامة، فتوقَّف تورُّعًا، فلم يزل عمرُ يراجعه حتى شرح الله صدرَ أبي بكر لذلك، فأرسل إلى زيد بن ثابت فأتاه، وعنده عمر فقال له أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهِمُك، وقد كنتَ تكتب الوحيَ لرسول الله ﷺ فتتبَّعِ القرآنَ فاجمَعْهُ، قال: فتتبعتُ القرآنَ أجمعُه من العُسُب واللِّخاف

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصوم، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، رقم (٢٣٤٠)، والترمذي: كتاب الصوم، باب ما جاء في الصوم بالشهادة، رقم (٦٩١)، والنسائي: كتاب الصيام، باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال شهر رمضان، رقم (٢١١٢)، وابن حبان (٨/ ٢٣٠)، والحاكم (١/ ٢٩٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، متداول بين الفقهاء، ولم يخرجاه».

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾.

وصدور الرجال، فكانت الصُّحُفُ عند أبي بكر حتى توفَّاه الله، ثم عندَ عمر حياتَه، ثم عندَ حفصةَ بنت عمر -رضي الله عنهما-. رواه البخاري مطوَّلًا.

وقد وافق المسلمون أبا بكر على ذلك وعدوُّه من حسناته، حتى قال على -رضي الله عنه-: «أعظمُ الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله»[1].

الشـرح

وهذه هي المرحلة الثانية، وكانت على يد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- في السنة الثانية عشرة، بمشورة عمر الفاروق -رضي الله عنه- لما قُتِل في اليمامةِ كثيرٌ من القراء، خاف الخليفةُ الراشدُ أبو بكر -رضي الله عنه- أن يضيع القرآنُ، فأشار عليه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أن يجمعه ويكتبه، فتوقف -رضي الله عنه- تورُّعًا؛ لأن هذا لم يكن على عهدِ الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فخاف أن يكون إذا جمعه تصرَّف في كتاب الله بما لم يفعله الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فلم يزل عمرُ يراجعه حتى شرح اللهُ صدرَ أبي بكر لذلك، فدعوا هذا الشابَّ زيدَ بْنَ ثابتٍ -رضي الله عنه- وجمعه من العُسُب واللِّخاف وغيره، وصارت المصاحفُ عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر، ثم عند حفصة زوجة النبي ﷺ وهي ابنةٌ لعمر، فهي أم المؤمنين، وبنت أمير المؤمنين، وهي ذاتُ ذكاءٍ وفِطنة، ولذلك لما وقَّفَ عمرُ -رضي الله عنه- أرضَه في خيبر، جعل الناظر عليه ابنته حفصة[2]، ولم يجعل الناظرَ

(١) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (ص:١١)، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ١٢).
(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الوصايا، باب ما جاء في الرجل يوقف الوقف، رقم (٢٨٧٨).

عبد الله ولا غيره من أولاده؛ لأنها ذاتُ ديانةٍ، وأمانةٍ، وعقلٍ، وحسن تصرُّفٍ، فبقيت عند حفصةَ حتى تولى عثمان -رضي الله عنه-.

وهذا هو الجمع الأول في عهد أبي بكر -رضي الله عنه-، وقد وافق المسلمون أبا بكر على ذلك، وعدُّوه من حسناته، حتى قال عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «**أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمةُ الله على أبي بكر، هو أولُ من جمع كتابَ الله**»، وفي هذا وخزة وطعنة في صدور الرافضة الذين يبغضون أبا بكر، وربما كان بعضُهم يلعنه -والعياذ بالله-، فها هو عليٌّ ابن طالب -رضي الله عنه- الذي يرَوْنَ أنه إمام الأئمة، يقول فيه هذا القول؛ لأن عليَّ بْنَ أبي طالبٍ -رضي الله عنه- رجلٌ مؤمِنٌ تقيٌّ عاقل عادل، فقال الحق، لكن أولئك الرافضة على العكس من ذلك، ولهذا يخالفون عليَّ بْنَ أبي طالب في مسائلَ.

خالفوه في المتعة، وهو -رضي الله عنه- ممَّن روى تحريم المتعة[1].

وخالفوه في المسح على الخفين، وهو مَن روى المسحَ على الخفين[2].

وهذا يدُلُّ على أنهم إنما أَتَوْا بعليِّ بْنِ أبي طالبٍ -رضي الله عنه- للترويج على العامَّة، وخداعهم أنهم ينتصرون لآل البيت.

***

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخرًا، رقم (٥١١٥)، ومسلم: كتاب النكاح، باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ثم استقر تحريمه إلى يوم القيامة، رقم (١٤٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة، باب كيف المسح، رقم (١٦٢).

المرحلة الثالثة: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في السنة الخامسة والعشرين، وسببُه اختلافُ النَّاسِ في القراءة بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة -رضي الله عنه-، فخِيفت الفتنة، فأمر عثمان -رضي الله عنه- أن تُجمع هذه الصحفُ في مصحف واحد؛ لئلا يختلف الناس، فيتنازعوا في كتاب الله تعالى ويتفرقوا.

ففي صحيح البخاري[1] أن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قدِم على عثمانَ -رضي الله عنه- من فتح أرمينية وأذربيجان، وقد أفزَعَه اختلافُهم في القراءةِ، فقال: يا أمير المؤمنين، أَدْرِكْ هذه الأمةَ قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى، فأرسل عثمانُ إلى حفصةَ أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردُّها إليك، ففعلتْ، فأمر زيدَ بْنَ ثابتٍ، وعبدَ اللهِ بْنَ الزبير، وسعيدَ بْنَ العاص، وعبدَ الرحمنِ بْنَ الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف -وكان زيدُ بْنُ ثابتٍ أنصاريًّا، والثلاثة قرشيين- وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين: إذا اختلفتُم أنتم وزيدُ بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريشٍ؛ فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحفَ في المصاحف، ردَّ عثمانُ الصحفَ إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفْقٍ بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق.

وقد فعل عثمان -رضي الله عنه- هذا بعد أن استشار الصحابةَ -رضي

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٩٨٧).

الله عنهم-، لما روى ابْنُ أبي داودَ عن عليٍّ[١] -رضي الله عنه- أنه قال: والله ما فعلَ الذي فعلَ في المصاحف إلا عن ملأٍ مِنَّا، قال: أرى أن نجمعَ الناس عَلى مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فُرْقَةٌ ولا اختلافٌ، قلنا: فَنِعْمَ ما رأيت.

وقال مصعب بن سعد[٢]: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد، وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- التي وافقه المسلمون عليها، وكانت مكملة لجمع خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر -رضي الله عنه-.

والفرق بين جمعه وجمع أبي بكر -رضي الله عنهما-: أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحف، حتى لا يضيع منه شيء دون أن يحمل الناسَ على الاجتماع على مصحف واحد؛ وذلك أنه لم يظهر أثر لاختلاف قراءاتهم يدعو إلى حملهم على الاجتماع على مصحف واحد.

وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان -رضي الله عنه- فهو تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحف واحد، يحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف باختلاف القراءات.

وقد ظهرت نتائج هذا الجمع حيث حصلت به المصلحة العظمى

---

(١) أخرجه الخطيب في كتابه الفصل للوصل المدرج (٢/ ٩٥٤)، وفي الإسناد المحفوظ محمدُ بن أبان الجعفي (علل الدراقطني ٣/ ٢٢٩-٢٣٠): قال ابن معين: ضعيف (الجرح والتعديل للرازي ٧/ ٢٠٠)، وأخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف (ص:٢٢).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف (ص:١٢).

للمسلمين من اجتماع الأمة، واتفاق الكلمة، وحلول الأُلفة، واندفعت به مفسدة كبرى من تفرق الأمة، واختلاف الكلمة، وفشوِ البغضاء والعداوة.

وقد بقي على ما كان عليه حتى الآن متَّفقًا عليه بين المسلمين متواترًا بينهم، يتلقاه الصغير عن الكبير، لم تعبث به أيدي المفسدين، ولم تطمسه أهواء الزائغين، فلله الحمد لله رب السماوات ورب الأرض رب العالمين.

الشـرح

وهذا هو الجمع الثالث الذي أجمع عليه المسلمون، وبقيت إلى يومنا هذا -والحمد لله- محفوظةً بحفظ الله، وهو أن القرَّاء في عهد أبي بكر، وفي عهد عمر، وفي أول خلافة عثمان -رضي الله عنهم- كُلٌّ يقرأ بما سمع من النبي -عليه الصلاة والسلام- فاختلفوا؛ لأن القرآن نزل على سبعة أحرف، فخاف المسلمون من هذا الاختلاف أن يؤدي إلى اختلاف القلوب، واختلاف الآراء، وأن يؤدي إلى القتال، فرأوا أن يُجْمَع على حرف واحد، فأمر عثمانُ بن عفان -رضي الله عنه- زيدَ بْنَ ثابتٍ ومن معه أن يجمعوه على حرف واحد، وإذا اختلفوا فليجمعوا على حرف قريش، يعني: على لغتِها؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، ففعلوا وبقي هكذا مجموعًا، ولا يُعَارِض جمعَ عثمان هذا وجودُ بعض الآيات الكثيرة في القرآن بغير لغة قريش؛ لأن هذا إما أن يقال: إن الحكم للأغلب، أو أن هذه الكلمات أصلها ليست عربية، ولكن قريش تكلموا بها.

وفي هذا دليلٌ على أنَّ تغْيِيرَ ما كان في عهد النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- لوسائل حفظه لا بأس به.

لو قال قائل: لماذا لم يتركوا القرآن على سبعة أحرف، وكلٌّ يقرأ بحرف، ووسعوا على الأمة، ولم يحصروها في حرف واحد؟

فالجواب: من أجل اجتماع الكلمة، وعدم التفرق، وهذا أعظم من مراعاة التوسعة على بعضهم.

وبذلك نعرف مثلا أن ما ينكره بعضُ الناس اليوم من هذه الخطوط التي تُسوَّى بها الصفوف، ومن الخطوط التي يستدل بها على القبلة في المسجد الحرام وما أشبه ذلك، نعلم أن هذا بعيد عن الفقه في الدين؛ لأن هذه الوسائل في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- لم تتوفر، فمسجد الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان مفروشًا بالحصباء، فكيف يمكن أن يجدوا خطًا، وأيضًا ما وُضع في المسجد الحرام الآن من الخطوط الزرقاء التي يستدل بها على الاتجاه الصحيح للكعبة، ففي عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- ما احتاجوا إلى ذلك؛ لأن المسجد الحرام كان صغيرًا جدًا، وكان الناس أيضًا أشدَّ دِينًا، وأقوى ورعًا من الناس اليوم، يأتي الإنسان ويُكَبِّر على الجهة حتى وإن كانت الكعبة على يمينه أو يساره لا يتحرَّوْن لدينهم، لكن في عهد الرسول ﷺ يتحرون.

وقد قال العلماء -رحمهم الله-: إن الإنسان يدخل إذا قدم مكة معتمرًا أو حاجًّا من باب بني شيبة، وباب بني شيبة موضعه صحن المطاف، وأنا قد أدركتُ ذلك قريبًا من مقام إبراهيم، هذا يدل على أن المسجد كان صغيرًا جدًّا، ومثل هذا لا يحصل فيه الاختلاف، لكن الآن اتسع المسجد اتساعًا باهرًا، وضعف الورع في كثير من الناس، فكان وضع هذه الخطوط من أحسن ما يكون.

فعلى الإنسان أن يعرف أنَّ الوسائل ليست غايات، فنحن مثلًا لم نتعبد لله -تعالى- لوضع هذه الخطوط الصُّفر مثلًا في المسجد، أو لوضع الخطوط الزرقاء التي تدل على الاتجاه الصحيح في المسجد الحرام، ولكننا اتخذناها وسيلةً، كما جمع الصحابة -رضي الله عنهم- القرآنَ على حرفٍ واحدٍ، مع أنه في عهد الرسول ﷺ على سبعة أحرف، فكذلك أُلِّفَتِ الكتب، وبُوِّبَت المعاني والموضوعات.

فإن قال قائل: مكبرات الصوت الآن بدعة؛ لأنه ليس في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- فما الجواب؟

الجواب: بل هي وسيلة صحيحة، والدليل على هذا أنَّ رفع الصوت مقصودٌ، كما في غزوة حنين؛ حيث أمر الرسولُ ﷺ العباسَ بن عبد المطلب أن ينادي في الناس؛ لأنه كان جَهُوريَّ الصوت، فكان يقول: «**يَأَهْلَ السَّمُرَةَ، يَأَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، هَلُمُّوا**»[1]؛ وذلك لأن الناس فروا، ولم يبقَ من اثني عشر ألف رجلٍ مع الرسول ﷺ إلا نحوُ ثمانين رجلًا، حتى أنزل الله سكينته عليهم، ورجعوا.

فالحاصل: أن الوسائل ليست غايات، وهذه قاعدةٌ ينبغي لنا أن نفهمها حتى لا نقع في الخطأ، وحتى لا نجعل كلَّ شيء بدعةً، فنفرق بين الغايات والوسائل، لكن إذا كانت الوسيلةُ محرمةً، فمن المعلوم أننا لا نتخذها.

مسألة: لو قال قائل: بعضُ الناس يُحسِّنُ البدعةَ، ويستدل بقصة

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم (١٧٧٥).

أبي بكر -رضي الله عنه- حين جمع القرآن؛ لأنه فعل شيئًا لم يفعله النبيُّ ﷺ، فما الجواب؟

الجواب: أننا نفرق بين ما كان مشروعًا وبين ما لم يكن مشروعًا، فما كان وسيلةً لمشروع، فهو مشروع، أما أن يشرع الإنسان شيئًا ابتداءً فهذا لا يجوز؛ لأنه بدعة.

مثال ذلك: لو قال قائل: وسائل الدعوة كثيرةٌ، لكن عندي أناس لا يتجهون إليَّ إلا إذا ضربتُ الموسيقى، وآلات اللهو التي يطربون لها، حينئذٍ يلتفون حولي، فهل أفعل ذلك؟

الجواب: لا يجوز؛ وذلك لأن الوسائل المحرمة لا تجوز، ولا يمكن أبدًا أن تكون نتيجةُ الوسيلةِ المحرمةِ خيرًا، أما الوسائل المباحة، فإنها إذا أدت إلى الغرض المقصود شرعًا، فالأصل أنها مطلوبة، وهذه قاعدة ينبغي لنا أن نفهمها، انظر إلى الصحابة -رضي الله عنهم- عندما حصروا الناس على مصحف واحد، وعلى حرف واحد، وهو لغة قريش، بينما كان الناس في الأول كُلٌّ يقرأ على لغته، لكن لما كان يخشى من هذا الاختلاف أجمع الصحابةُ على ذلك، أي: على مصحف واحد، وعلى لغة قريش.

فإن قال قائل: من المعلوم أن أهل المشرق لهم قراءة، وأهل المغرب لهم قراءة، فهل لأهل المغرب أن يقرؤوا عند أهل المشرق بقراءتهم، وكذلك العكس؟ مع العلم أنه قد يحصل فتنةٌ للناس عند قراءة أهل المشرق عند أهل المغرب والعكس؟

فالجواب: نمنع هذا الشيء، ونقول: أنت يا صاحب المغرب لا تقرأ بقراءتك إلا في مكانك، وكذلك صاحب المشرق، لكن ليعلموا أن هذه القراءات السبع على حرف واحد، وهي على حرف قريش، وليست على سبعة أحرف، فمن قال: إن القراءات السبع على سبعة أحرف، فقد أبعد النجعة؛ لأنها على حرف واحد، لكن اختلف القراء فيها حسب الرواية، وحسب الكتابة، وكتابة القرآن فيما سبق ليست مُشَكَّلَة ولا مُنَقَّطة.

***

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التفسير

١- الواجب على المسلم في تفسير القرآن.

٢- المرجع في تفسير القرآن.

٣- الاختلاف الوارد في التفسير المأثور.

٤- ترجمة القرآن.

٥- المشتهرون بالتفسير من الصحابة.

٦- المشتهرون بالتفسير من التابعين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التفسير

التفسير لغةً: من الفَسْر، وهو: الكشف عن المغطى.

وفي الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم.

وتَعَلُّمُ التفسير واجب؛ لقوله -تعالى-: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، ولقوله -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

وجه الدلالة من الآية الأولى: أن الله تعالى بَيَّن أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك؛ أن يتدبر الناسُ آياته، ويتعظوا بما فيها.

والتدبُّر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك، فاتت الحكمةُ من إنزال القرآن، وصار مجردَ ألفاظٍ لا تأثيرَ لها، ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه.

ووجه الدلالة من الآية الثانية: أن الله -تعالى- وبَّخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم، وعدم وصول الخير إليها.

الشرح

قال المؤلف: «التفسير لغةً: من الفسر، وهو: الكشف عن المغطى»؛ ومنه فَسْرُ القشر عن الثمرة حتى يتبين ما بداخل القشر.

«**وفي الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم**»، وبيان معاني غيره يسمى تفسيرًا في الواقع، إذ يصحُّ أن نسميه تفسيرًا، لكن في العُرف يسمون ما سوى القرآن شرحًا، ولهذا قَلَّ أن تجد من يقول شرح الآية الكريمة، بل يقول: تفسير، أو يقول: تفسير الحديث، بل يقول شرح، وهذه مسألة عُرْفية، وإلا فمعنى التفسير والشرح واحدٌ.

وبيان معاني القرآن واجبٌ؛ لأنَّ المقصود من إنزاله هو فهم معناه والعمل به، وإذا كنا لا نفهم المعنى صار القرآن بيننا كأنه عربيٌّ بين أعاجم، لا يُعرف معناه، ولا يُعرف المراد به، والإنسان لو أراد أن يعمل بكتاب فقهٍ من كتب الفقهاء فإنه لا بد أن يعرف معناه، ولو أُلقي إليه وهو يطلب علم الطب كتابٌ فيه الطب وأنواعه وما يتعلق به ولم يشرح له لم يستفد منه، إذن: فلا بد من أن نفهم معاني القرآن.

وهل فهم معنى القرآن صعب؟

لا، قال الله -عز وجل- وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، أي: هل من متذكر؟، و«هل» هنا للتشويق؛ لأنه لما أخبر وأكَّد أن الله -تعالى- يسَّره للذكر شوَّق إلى ادِّكاره وفهمه؛ فأنت إذا أقبلت بصدق لتفهم معنى كلام ربك -عز وجل- فإنه لا بد أن يُيَسِّر لك، إما بفتح يفتحه الله عليك، وإما بجلب عَالِم يُبَيِّن لك معناه، وإما بكتب تفسير توضح لك المعنى؛ لأن الله تعالى أخبرَ وأكَّد هذا الخبر، بقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، وتعلُّم التفسير واجبٌ يأثم الإنسانُ بتركه.

وهل هو واجبٌ عينيٌّ، أو واجبٌ كفائيٌّ؟

نقول: أما ما لا يسوغ جهله فإنه واجب عيني، يجب على كل إنسان أن يعرف ما أُمر به في القرآن الكريم، فمثلًا: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، فيجب أن يعرف كيفيةَ إقامة الصلاة. ﴿وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾، فكذلك يجب أن يعرف كيف يزكي إذا كان عنده مال، ﴿حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فكذلك يجب أن يعرف كيف يحج إذا كان مستطيعًا، وهلمَّ جرّا، وما زاد عن ذلك فإنه فرض كفاية يجب على المسلمين عمومًا أن يقوموا به، فإن قام به أحد يكتفي به، لكونه مأمونًا موثوقًا مرجعًا للمسلمين، في التفسير وإلا فالواجب تعلم التفسير.

ولا يمكن للمسلمين أن يَدَعوا كتاب ربهم بدون أن يفهموا معانيه؛ لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]، وصفَ اللهُ هذا القرآن بأنه مبارك، أي: مبارك من كل ناحية، وذلك من جهة تلاوته، والتعبد به، ومن جهة صلاح القلب، وصلاح العمل، وكان خُلُقُ النبيِّ ﷺ القرآنَ[1]، وهو أكمل الناس خلقًا -عليه الصلاة والسلام-، فوالله ما أبرك هذا القرآن! فلما كان المسلمون يعملون به ظاهرًا وباطنًا، سرًّا وعلنًا، عقيدةً وعملًا، خُلُقًا وأدبًا، نالوا ببركته وسادوا العالم، وجاهدوا به أعداء الله، ولما تخلَّفوا عنه نُزِعت بركة القرآن منهم، وصاروا يعظمون القرآنَ تعظيمَ طقوسٍ لا تعظيمَ عملٍ، يكتبونه على الجدران، ويكتبونه في الأحراز التي يسمونها الحُجُب، وما أشبه ذلك، يأخذ الإنسان المصحفَ ويقبله ويسجد عليه، وليس هذا من التعظيم، بل تعظيم القرآن

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٤٠٧٩).

يكون بالعمل به، تصديقًا بأخباره، وعملًا بأحكامه، وما أشبه ذلك.

قوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ «**اللام**» هنا للتعليل، وهو بيان الحكمة من إنزاله، وكل الآيات -سواء طالت الآية أم قصرت- يجب علينا أن نتدبرها، فمثلًا قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة:٢٨٢]، وهي أطول آية في القرآن، يجب علينا أن نتدبرها، وعلينا أن نتدبر قول الله -تعالى-: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [المدثر:٢١]، وهي من أقصر الآيات، مَنِ الذي نظر؟ وهل نظر بفكره، أم نظر بعينه؟ لا بد أن نعرف هذا.

قوله: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: ليتعظ أولو العقول، والعقل هو اللب، ورجل بلا عقل ليس برجل في الواقع.

وقوله -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ «**الهمزة**» هنا للاستفهام الذي يُراد به التوبيخ.

قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ «أم» هنا هل هي متصلة، أم منقطعة؟

نقول: الضابط إذا كانت «أم» بمعنى «بل» فهي منقطعة، وإذا كانت بمعنى «أو» فهي متصلة، فإذا قلت: أجاء زيد أم عمرو، فهي متصلة، وفي هذه الآية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أي: بل على قلوب أقفالها، فقلوبهم مقفلة عن تدبر القرآن، والأقفال: جمع قفل، وهو ما يغلق بها الأشياء.

وجه الدلالة من الآية الأولى: أن الله -تعالى- بيَّن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك، وهو أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها هذه هي الحكمة،

وليست الحكمة أن يتبركوا به، أو أن يتلوه تلاوة مجردة، هذه لا شك أنها منفعة، ومصلحة، ورحمة بالخلق، لكن المهم أن يتدبروه ويتعظوا به.

فلو قال قائل: كيف يكون التدبر والاتعاظ في آيات الأحكام، مثل قوله -تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢]؟

الجواب: أن نقول: إن الموعظة ليس معناها لين القلب، أو خشوع القلب وما أشبه ذلك، فالاتعاظ هو التزام الأحكام، ولهذا قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ [النساء:٥٨]، فَجَعَل هذه موعظة، فالتزام الأحكام اتعاظٌ لا شك، وليست الموعظة فقط ما يرقق به القلوب.

أرأيت لو أن إنسانًا أعطاك كتابًا في الطب، فهل ستنتفع بما فيه من الإرشادات الطبية دون تدبره وتفهمه؟

الجواب: لا يمكن هذا، فكذلك القرآن الكريم لا يمكن أن ينتفع به الإنسانُ تمام الانتفاع إلا بالتدبر، ثم بعد ذلك يتعظ.